النشـــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ١٠ / ١٩٩٩
الأحد ٧ آذار
الأحد الثاني من الصوم
(أحد غريغوريوس بالاماس)
تذكار القديس الشهيد في الكهنة
باسيليفس ورفقته
اللحن السادس
إنجيل السَحَر السادس

الـرســالــة (عبرانيين ١ : ١٠ – ١٤؛ ٢ : ١ - ٣)
الإنــجــيـل (مرقس ٢ : ١ – ١٢)

+ القديسون الشهداء الأربعون المستشهدون في مدينة سبسطية

تعيّد الكنيسة المقدسة في التاسع من آذار لتذكار شهداء مدينة سبسطية الأربعين الذيـن استشهدوا في القرن الرابع على عهد القيصر ليكينيوس إمبراطور الشرق، وقد قدّموا ذواتـــهم في وحدة متماسكة ذبيحة حيّة لله بعد أن ذاقوا أقسى أنواع العذاب، فاستحقوا المديح من الآباء القديسين باسيليوس الكبير وغريغوريوس النيصصي ويوحنا الذهبي الفم وافرام السرياني. وقد كرّمتهم الكنيسة شرقاً وغرباً، حتى انه يفرض إقامة قداس القدسات السابق تقديسها يوم عيدهم إذا وقع في الصوم الكبير ولم يكن يوم أربعاء أو جمعة.

كان هؤلاء القديسون من مصاف الجنود المشهورين بشجاعتهم وقوّتهم، وقد نال الملك الغلبة على أعدائه بفضلهم، حتى انهم جُمعوا في فرقة واحدة وذاع صيتهم، وكان مقر إقامتهم في مدينة سبسطية في بلاد أرمينيا.

ما كان يجمع هؤلاء الشبان الآتين من مختلف المناطق كان أمتن من الخدمة العسكرية. انه الإيمان بالمسيح. فقد كانوا جميعهم متمسكين بإيمانهم ومتعاهدين بروح واحد على عدم ترك هذا الإيمان. وما كان يميّزهم عن باقي العسكر ليس قوّتهم فقط، بل فضائلهم المسيحية وآدابهم واحتشامهم وعبادتهم النقية، مما أثار الحساد عليهم فوشوا بهم الى الوالي الذي كان قد باشر حملة ضد المسيحيين بسبب عدائه للملك قسطنطين الذي أعطى الكنيسة السلام.

قبض عليهم وسيقوا أمام الوالي الذي حاول إغراءهم بالوعود إن هم أنكروا المسيح فلم يفلح. أمر بجلدهم وتمزيق جلدهم بالأظافر الحديدية وطرحهم في السجن علّهم يرتدّون ولكنهم لبثوا غير متزعزعين في إيمانهم، فأمر بتعذيبهم بشتى أنواع العذابات، وأخيراً أمر بأن يُعرّوا من ثيابهم ويطرحوا في بحيرة ماء تكاد تتجلّد مياهها من الصقيع، وربما كان من أصعب العذابات أن يموت الإنسان متجمداً من البرد إذ أن الوجع لا يحتمل. ذهب القديسون بشجاعة مع الجنود وطفقوا يخلعون ثيابهم بفرح كأنهم ذاهبون للإستحمام. قبل نزولهم في الماء توسّلوا الى الله أن لا ينقص عددهم ويجعلهم مستحقين لنوال أكاليل الاستشهاد الأربعين. وبالفعل فقد استجاب الله طلبتهم بطريقة عجائبية ولم ينقص عددهم عن الأربعين. نزلوا جميعهم في بحيرة المياه الباردة، وكان الوالي قد وضع مقابلهم أماكن للإستحمام بالماء الساخن حتى إذا تراجع أحدهم يستحمّ فوراً بالماء الساخن فيحيا.

عندما بدأت دماؤهم تتجمّد في عروقهم وابتدأت الأوجاع، رأى الحارس قرب البركة مشهداً عجائبياً، وفيه ربّ المجد مع الملائكة متحدون يوزّعون الأكاليل على رؤوس الجميع بأستثناء واحد منهم لم يضعوا على رأسه إكليلاً. وفيما كان الجندي مبهوتاً من هذا المشهد خرج من الماء ذاك الذي لم يُوضع على رأسه إكليلُ، مرتدّاً عن إيمانه. وحالما أدخل الى مكان الإستحمام وانحلّ عنه الجليد، نحلّت أعصابه ولحمه ومات للحال. لما شاهد الحارس هذا المنظر صرخ بصوت عظيم أنا مسيحي ورمى بنفسه في البحيرة وانضمّ الى الباقين فأصبح عددهم أربعين. بقي هؤلاء ثلاثة أيام في عذاب الجليد والبر الى أن أسلموا الروح وكانوا قد عاينوا قبلاً إكليل الشهادة والنصر الذي سوف يحصلون عليه في الملكوت. بعد موتهم أمر الوالي بإحراق رفاتهم وطرح رمادها في النهر الجاري.

يُذكر أن أحدهم، وكان الأقوى بنيةً، صمد الى النهاية. فبعدما وضع الجند أجساد رفاقه الشهداء على العربات لنقلها الى مكان حرقها وشاهدوه حياً أشفقوا عليه ولم يحملوا جسده علّه يعيش، فما كان من والدته إلا أن دنت منه وسحبته ووضعته على العربة وقبّلته قائلة: " إذهب يا ولدي الحبيب بصحبة رفاقك الشهداء لتكمل نهاية حياتك بحريق النار، ولا تلبث وحدك منفصلاً عن أن تحصل في هذا اليوم على مشاهدة الله." سارت بقربه مسافة قصيرة الى أن فارق الحياة وانضم الى قافلة الشهداء الأربعين.

صلواتنا اليوم بشفاعة القديسين الشهداء الأربعين أن يمنحنا الله نعمة أن نكمل جهاد الصوم المبارك ونصل الى يوم القيامة المجيد.

+ قداس القدسات تقديسها (البرويجيازمينا)

القداس الإلهي في الكنيسة الأرثوذكسية دائماً إحتفالي. فالتمييز الغربي بين قداس مرتَّل وقداس مقروء غير معروف في الشرق. القداس ذو صفة إحتفالية لأنه تذكار لعمل المسيح الخلاصي وقيامته، يغلب عليه طابع الفرح. هكذا كان منذ نشأة الكنيسة وهكذا بقي، لذا يقام أيام الآحاد للإحتفال بقيامة الرب. ولأن الصوم يغلب عليه طابع التوبة والحزن (على خطايانا) فقد رتبت الكنيسة أن يُستعاض عن القداس ايام الأربعاء والجمعة من الصوم الكبير بخدمة مناولة كي تسمح للمؤمنين تناول القدسات لتشديدهم في جهادهم أيام الصوم ولِبَثّ فرح الرب في قلوبهم، لأننا عندما نحزن على الخطايا التي ارتكبناها ونرميها خارجاً نودّ أن يحلّ الرب مكانها في قلوبنا.

الكنيسة الأولى لم تقم القداس أيام الصوم لأنها أيام توبة : " لا يجوز تقديم الخبز (الذبيحة الإلهية) في أيام الصوم الكبير باستثناء يومي السبت والأحد "(القانون ٤٩ من مجمع اللاذقية المكاني، ٣٤٣-٣٨١). وكانت المناولة اليومية تقليد رائج إذ كان المؤمنون يأخذون معهم الى منازلهم من القدسات التي تم تقديسها يوم الأحد، ربما بسبب عدم قدرة المسيحيين على الإجتماع كل يوم زمن الإضطهادات. بعد حصول السلام للكنيسة في القرن الرابع، وعندما صار القداس يقام بشكل متواتر، وبسبب الحاجة الى منح المؤمنين فرصة للمناولة في الأيام التي لا يُقام فيها قداس، نشأ القداس السابق تقديسه. هذا ما جاء في القانون ٥٥ من مجمع ترولو المسكوني (الخامس – السادس) عام ٧٩٢ : "يُقام قداس القدسات السابق تقديسها في كل أيام الصوم الكبير ما عدا السبوت والآحاد ويوم عيد البشارة المقدس".

اليوم يُقام قداس القدسات السابق تقديسها في الكنيسة الأرثوذكسية أيام الأربعاء والجمعة من الصوم الكبير وفي الايام الثلاثة الأولى من الأسبوع العظيم وفي الخميس من الأسبوع الخامس

الذي يُتلى فيه قانون إندراوس الكريتي وفي بعض الأعياد التي تقع خارج أيام السبت والأحد من الصوم مثل عيد الأربعين شهيداً في ٩ آذار. يُذكر أنه في القديم كان البرويجيازمينا يُقام أيضاً يوم الجمعة العظيم، لكن الكنيسة الأرثوذكسية لم تعد تُقيمه لاحقاً في هذا اليوم، اما الكنيسة الغربية فإنها لم تعد تقيم هذه الخدمة أيام الصوم باستثناء يوم الجمعة العظيم فقط، عند الثالثة بعد الظهر، وضمن الخدمة تُقام رتبة السجدة للصليب.

قداس القدسات السابق تقديسها هو خدمة مناولة فقط. انه ليس كالقداس العادي الذي يُقام أيام الآحد إذ لا تُقرأ فيه رسالة أو إنجيل ولا يتضمن الكلام الجوهري وصلاة استدعاء الروح القدس على القرابين.

عند تحضيره الذبيحة للقداس الإلهي أيام الآحد من الصوم الكبير، يقتطع الكاهن من القربان ثلاثة حملان بدل واحد (أحدهم للأحد والآخران للأربعاء والجمعة)، ويتمّ تقديس الثلاثة خلال القداس الإلهي، وقبل المناولة يأخذ حملين ويسكب عليهما قليلاً من دم المسيح من الكأس ويضعهما في علبة خاصة على المائدة، قربها قنديل مُضاء رمزاً لنور المسيح، يتناولها المؤمنون يومي الأربعاء والجمعة.

خدمة البرويجيازمينا تبدأ بصلاة الغروب: فبعد قراءة مزمور الغروب ١٠٣: " باركي يا نفسي الرب..." والطلبة السلامية، تُتلى كاثسما مزامير، أي مجموعة مزامير (١١٩-١٣٣) وأثناء القراءة تُنقل القرابين من على المائدة الى المذبح ويضع الكاهن الحمل على الصينية هناك ويسكب الخمر والماء في الكأس المقدسة، ويغطيهما. بعدها يُرتّل المزموران ١٣٩ و١٤٠ مع التبخير وترانيم اليوم المحددة في كتاب التريودي، ويا نورا بهياً، تليها القراءات من العهد القديم، مع إضاءة الشموع و" نور المسيح مضيء للجميع"، ثم يتم نقل القرابين السابق تقديسها من المذبح الى المائدة بطقس مهيب يسجد خلاله كل من في الكنيسة الى الأرض لأن جسد ودم الرب ملك الكل يمران عابرين. بعدها الطلبة والصلاة الربانية والمناولة والصرف.

لاحظنا ان خدمة المناولة هذه تبدأ بصلاة الغروب، وهذا يعني أنها كانت تُقام مساءً في العصور الأولى وهذا يعني أن المؤمنين كانوا يصومون حتى الغروب، هكذا كان الصوم قديماً. بعض الكنائس عادت الى التقليد القديم وصارت تقيم هذا القداس مساءً وهذا ما دفع بعض المؤمنين الى طرح موضوع عدم القدرة على الصوم حتى المساء. الكنيسة كأم ترعى وتعي ضعف أبنائها سمحت لهم بتناول وجبة خفيفة عند الظهر، لا تتخم، لتساعد المؤمن على الإحتمال حتى القداس مساء. وأما الكنائس التي تقيم البروجيازمينا ظهراً فلا تواجه مشكلة.

يبقى أن نقول ان كاتب هذا القداس حسب التقليد هو القديس غريغوريوس الذيالوغوس (أي الحواري) بابا رومية الذي عاش في القرن السادس.

+ حمل خطايانا

يا مخلّصي، قل لي، مرة أخرى، كيف تحمل خطاياي.

أجل، يا بنيّ، فأنا أريد أن أجعلك أكثر انتباهاً لهذا التحويل الخفي، كما أتمنّى أن يتنبّه له عدد أكبر من الناس. كثيرون هم الذين يُحسّون، بصورة حادّة جداً، إنكسار القلب، ساعة يلقون بخطاياهم عند قدميّ، وكذلك كثيرون هم الذين يشعرون شعوراً قوياً بالسلام وبالسلطة اللذين يلازمان كلامي، إذ يعلن، وتعلن باسمي، كنيستي: " مغفورة لك خطاياك". لكنّهم قلائل اولئك الذين يدركون الفعل الذي به ينتزع حمل الله الخطيئة، ويأخذها على عاتقه. لقد علّمتك أني أكون حاضراً، عندما تخطئ، حضوراً يدينك ويشفق عليك معاً. إنيّ أطلب آنئذٍ بالحاح أن تنظر وتوافق، فلو أعطيت النظر والموافقة، لتغيّر مركز الفعل، ولما عادت الخطيئة في الوسط، وإذ كل القوى تتبدّل، أشغل أنا الوسط. في هذه اللحظة تُخلَّص أنت، وفي هذه اللحظة يعود حاضراً ما قد مضى، إذ حملتُ، في جثسماني وعلى الجلجلة، مسؤوليتك ومسؤولية هذه الخطيئة. ولم تعد الأزمة قائمة بين الخطيئة وبينك، بل بيني وبينك، ويسقط شعاع من قلبي، عليك يجتذبك، ويستولي عليك، فتصعّد نظرك إليّ، وتترك نفسك تتبع الشعاع.

يا بنيّ، أنت ما زلت تجهل معنى هذه الكلمات :" أخذت على عاتقي خطاياك". وأنت تفكّر، في رعب، بالشرّ الذي اقترفته حديثاً، أو منذ سنوات بعيدة، بحق هذا الشخص او ذاك. وتعرف أن هؤلاء الناس قد تعذبوا، بسببك، وأن التعويض عن هذا العذاب أصبح الآن مستحيلاً. أصغ اليّ: لقد أخذت مكان ضحايا قسوتك الأنانية، فصارت إهانتك موجّهة ضدّي، بدلاً منهم. وحللت على الصليب محلّك، كمرتكب لهذه الاهانة. فأنا عقدة الموقف، ووحدي أستطيع حلّها، لأني أخذت على عاتقي الأذى المسبّب، وسبب الأذى، ولأنّه فيّ تكمن الكفّارة والمغفرة. فعندما يفوت زمان التعويض عن الإساءة الى الضحايا، بل حتى لو كنتَ قادراً بعدُ على التعويض عنها، ألق عليّ، وانتقل اليّ خطيئتك. تجرّد من كل بقايا العدالة الشخصية، وتمسّك ، مؤمناً، بالفداء والخلاص اللذين أعرضهما عليك. أقبل إليّ عارياً تماماً، غير مؤمّل شيئاً، سوى رحمتي. وكفّ عن التساؤل: " كيف يمكنني التعويض؟ " فالتعويض يتأتى من اتحاد أوثق معي. وإيمانك بي، لا التكفير عن الإساءة، هو الذي يبرئّك. إنما، لا يمكنك الانفتاح على الإيمان الحيّ، المنقذ، وعلى نعمتي، وعدلي الذي، وحده ، يبرّر، إن لم تشأ ان

تقوم بأعمالها، وتحمل ثمارها. أنا من يكفّر، لكنك أنت، ستكفّر بي، ومعي، وفيّ. لذلك، إبـــدأ بإلقاء نفسك بين ذراعيّ.